التقليد بين الحيوانات

يراد بالتقليد في عرف العلماء الطبيعيين تشبه حيوان او نبات ضعيفين بحيوان او نبات قويين في منظرهما الخارجي وقاية لهما من الطوارىء وصدًّا لغارات اعدائهما عنهما . وقد يكون الشبه بين حيوان وحيوان او نبات ونبات شديدًا الى حدّ ان يعسر التمييز بينهما وردّهما الى نوعيهما الّا على العالم المتضلع من علمي الحيوان والنبات من ذلك ان للزنابير حمة تلسع بها فتذيق ملسوعها من العذاب الوانًا وقد تيتهُ فلوقاية نفسها من اعدائها وتحذير اعدائها منها جهزتها الطبيعة بثوب ملوّن باللون البرتقالي والاسمر الغامق . فاذا رأتها الطيور والحيوانات الآكلة الحشرات تجنبتها خوفًا من اذاها ولو كان بها ما بها من الجوع

ولكن من الحشرات ما لا ضرر منهُ وهو يشابه الزنابير في شكلهِ ولونهِ مشابهة تامة والنوعان مختلفان تمام الاختلاف ويتخذ الثاني التشبه بالاول سلاحًا لهُ يتقي بهِ غدر الغادر من اعدائهِ فاذا رآهُ عدوهُ ظنهُ زنبورًا فيجتنبهُ ولو درى بحقيقة امرهِ وانهُ لقمة سائغة لاقدم عليهِ غير هيّاب فهو بذلك يدفع الضرّ عن نفسهِ

ومن اغرب ضروب التقليد ما يرى في الرسم التالي فالصورة المدلول عليها بالرقم ١ صورة فراشة لاحمة لها فهي بذلك مش غيرها من انواع الفراش ولكن الطيور الآكلة الحشرات تنفر منها لكراهة طعمها . فلتفريقها عن غيرها لُوّنت بالوان يستدلّ بها عليها رحمة باعدائها واستبقاء لها . والصور الباقية صور فراش يختلف عنها في نوعها ومذاقها كلّ الاختلاف ولكنهنّ يشبهنها كلّ الشبه في شكلها ولونها فاذا رآهنّ عدوٌّ ظنهنّ من نوع الفراشة الاولى فنفر منهنّ عيافًا لطعمهنّ

وكثيرًا ما يختلف النوع المقلّد اختلافًا عظيمًا عن النوع الذي خرج منهُ حتى يصعب ردهُ اليهِ

ورب سائل يسأل ما هو العامل الذي افضى الى اختلاف الفراشة المقلّدة هذا الاختلاف العظيم عن نوعها . والجواب على ذلك ان هذا العامل هو الانتخاب الطبيعي وقد يظهر لاول وهلة انهُ لا يكفي وحدهُ لاحداث ذلك الاختلاف ولكن لا يغرب عن البال ان اختلافًا مثل هذا لم يتمّ في مئات من السنين بل في مئات الالوف منها . والمرجّح ان فراشات النوع المقلّد وفراشات النوع الذي خرجت منهُ كانت في بادىء الامر اقلّ تلونًا واكثر تشابهًا تمامًا في عليهِ الآن ثم اخذت تفترق على مرّ الحقب بفعل عوامل لا نعلمها حتى صارت على ما هي عليهِ الآن

وكما تقلد الحشرات بعضها بعضاً لاتقاء اعدائها تقلد النباتات التي تقع عليها لكي لا تميزها الطيور فتأكلها من ذلك الفراشة الهندية المعروفة باسم فراشة كليما فان جناحيها في شكل ورقتين لهما زنيدتان فاذا وقفت على غصن شجرة بانت مثل ورقة من اوراقها لان جناحيها يصيران كورقة واحدة ذات زنيدة كما ترى في الشكل الثاني

وما من احد راقب الحشرات الا رأى عظم المشابهة في اللون بينها وبين ما تقيم عليه من صخر او تراب او نبات او حيوان فالديدان التي تكون على اوراق النبات يكون لونها في الغالب اخضر او اصفر مثل لون الورق . والجنادب والخنافس التي تقيم على الصخور يكون لونها مثل لون الصخور حتى يصعب تمييزها . ومن الحشرات ما يقف على اغصان الشجر وقفة يصير بها شبيهاً بعيدان حتى يعسر تمييزه منها . وقد جمع بعضهم سبعاً وعشرين من الحشرات المختلفة وصوّرها في صورة واحدة مع ما تستقر عليه من النباتات والاراضي ولوّنها كلها بالوانها الطبيعية فاذا نظرت اليها ظننت انك ترى اشكالاً من النبات ولا تكاد تميز حشرة فيها مالم يُقَل لك ان هنا صور كثير من الحشرات ويُطلَب منك تمييزها عما حولها فتجد ان ما كنت تظنهُ اوراقاً فراش مستقر على الاغصان وما كنت تظنهُ اغصاناً يابسة لا ورق فيها دود واقف كالاغصان اليابسة وما كنت تظنهُ ثمراً حشرة اتمّت حياتها الدورية وصارت زيزاً . وما كنت تظنهُ حصاة ملتاةً على الارض خنفسةً صغيرة مستديرة او بيضية الشكل . ومن الفراش ما يلصق بجذوع الاشجار فتظنهُ من لحائها كل ذلك لكي يخفى عن عيون اعدائه

وقفنا مرةً في معرض التاريخ الطبيعي بجنيفا ننظر الى ما فيه من انواع الحيوان المختلفة من دواب وزحافات وطيور وحشرات وهوام واسماك واصداف ورأينا هناك شجرة يابسة لم يتبيّن لنا في اول الامر ما هو الغرض من وضعها بين الحيوانات ولما دققنا النظر فيها رأيناها مشحونة بالحشرات من كل الاشكال والانواع وكنا كلما امعنا نظرنا فيها نكتشف انواعاً جديدة منها حتى كأنها فلك نوح

ولا يُعلَم سبب طبيعي لشكل الحشرات بهذه الاشكال التي تخفيها عن عيون اعدائها غير الانتخاب الطبيعي وبقاء الاصلح فان التغيّر ناموس مستمر شامل لانواع النبات والحيوان فاذا تغيّرت فراشة في شكلها واتفق ان شابهت ورق النبات الذي تستقر عليه فوقيت بذلك من اعدائها اكثر من اخواتها اللواتي لم يتغيّرن مثلها صارت اصلح منهن للنجاة من الاعداء فاخلفت نسلاً توارث هذه الصفة الجديدة فتقوى فيه . وقس على ذلك سائر الصفات الآيلة الى حفظ النوع